أشلاء شعب فلسطين صاحب الحق والارض والتاريخ معا . أما الفلسطيني الذي عرض على اليهودي العيش معا في مجتمع ديمقراطي ، فانه يدافع عن قيم الحق والعدالة . ويقاتل من أجل ان يقضي على القضاء عليه . انه لا يحارب شعبـا ، ولكنه يحارب خطيئة . انه لا يسعى للاحتلال ، ولكنه يموت من اجل ان يحرر وطنه ويحرر اعضاءه من وظيفة مفروضة عليه . انه يحارب الحرب التي جعلتها الصهيونية قانون التعامل الوحيد في منطقة الشرق العربي .

هذا هو الجوهر المصفى من الصراع الدائر منذ اكثر من ربـع قرن بين الصهيونية المتحالفة مع الامبريالية وبين حركة التحرر العربية شقيقة حركات التحرر في العالـم الثالث . ان جوهر المعركة التي نخوضها هو : هل يحق للانسان ان يكون في هذا العصر ، أم لا يكون ؟ وهل يحق للنهب والخطيئة والجريمة ان تكافأ ام تعاقب . والكتابة العربية المعاصرة تأتي من هذا السؤال ومن هذه السخونة . وتقف فلسطين في صميم هـذه الدائرة حتى تحولت الى الرمز الاكبر والى الدلالة الاهم . وصار الانجراف في تيارها الشكل الاقوى لتجسد حلم الانسان العربي في اسم ـ في نموذج ـ في بطل .. في مكان ، حتى كادت فلسطين ان تختصر هذه المعاني جميعا .

أما زال بوسع الارادة الانسانية ان تتحرر وتنتصر علـى انتعاش الروح في التنين الامبريالي ؟ أما زال القلب الانساني العالمي قادرا على تبني قضايا الانسان ؟ أما زال بوسع شمولية الضمير البشري ان يتسع لهذا الانتهاك الوحشي الممارس على ارض فلسطين ؟ هذه الاسئلة تأخذ الظاهرة الفلسطينية الى مساحتها الشمولية الواسعة ، فلا تكون حادثا ما يجري في منطقة ما في مرحلة ما من هذا العصر وهذه الكرة الارضية . تصبح قضية الانسان الذي يعنيه ان تمتحن فيه هذه الصفة .

ان فلسطين الارض ـ الشعب ـ المعنى ـ الرمز ـ الدلالة ـ الصراع هي الحلم العربي الشامل . وقد تتساءلون : هل هي يوتوبيا العرب ؟ هي هي فردوسهم المفقود الذي أثرى أدبهم وشعرهم ؟

اننا نستمرىء هذه المشابهة ونخشاها ، نستمرئها لانها بلورة مطامح أمة في اسم موحد ، لانها اقرار بالاسم الواحد للحلم الجماعي ، لانها مبايعة الضياع للرمز العظيم .

ونخشاها لان مصطلح الفردوس المفقود يتضمن تسليما بحالة وجودية بلغت حـد النهاية . ان علاقة الشعوب بفردوسها المفقود هي علاقة ارتباط بالماضي الذي يحده القدر : حنين مجاني وبكاء للذكرى والعزاء ، وفرح بقدرة ماضية على انجاز جميل مضى . اما الفردوس الفلسطيني المفقود ، فانه علاقة بالماضي والحاضر والمستقبل . وما زالت ساحة الحاضر ملتهبة بالصراع الذي يقرر مدى دينامية العلاقة بين الماضي والمستقبل . لقد اندلعت اربع حروب على ساحة هذا الحاضر ، ونمـا الشعب الفلسطيني ونمى الصراع من أجل ان يكون هذا الحاضر عتبة للمستقبل لا سقفا للماضي . ومن هنا ، فان فردوس العرب مفقود مؤقتا . انه محتل وقابل للاستعادة وممكن الاستعادة . ومن هنا ايضا ، تأتي حيوية الادب العربي وفاعليته في احتواء فلسطين له . لانه يحلم بجنة ممكنة ، ولا يحلم بيوتوبيا .

بدون هذا الحلم الذي يستقطب أمة ، لن يكون بوسعنا ان نفهم واقعية الادب العربي الحديث . وبدون هذا الحلم لن يكون بوسعنا ان نفهم خلاص الادب العربي الحديث من الحوار حول نظريات الادب .. هل يكون الادب للادب ام يكون ملتزما ؟ وغيرها من الاسئلة المفتعلة التي تقذفها الينا ترف الثقافة الغربية الرسمية ، انا احلم اذن انا ملتزم . وما دامت الكتابة هي احد تجليات الحلم ، فان المسألة تأخذ شكلها التالي : انا اكتب ـ اذن انا ملتزم .